علم الانساب وصلته بالمدرسة التاريخية العراقية

الدكتور حسن عيسى علي الحكيم
جامعة الكوفة ـــ كلية الفقه

اهتم العرب قبل الاسلام بالانساب ، لان النظام الاجتماعي يقوم على القبيلة التي هي اساس الوحدة ، وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها وتحفظه ابناءها ، لتظل نقية بعيدة عن الشوائب ، ولتستطيع ان تفخر به على القبائل الاخرى (١). واستمر الاهتمام بالانساب عند العرب بعد ظهور الاسلام على الرغم من دعوته الانسانية إلى التحرر من العصبية القبلية ، وقد حث الرسول الكريم محمد (ص) على التمسك بالجانب الانساني في الانساب الذي يدفع إلى توثيق التعاون بين ذوي الارحام وتواصل المودة بينهم ، وفي ذلك جاء في الحديث الشريف: «تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال ، منسأة في الاثر» (٢) . وكان عبدالله بن عباس (رض) اضافة إلى مكانته العلمية الكبيرة في الفقه والتفسير والمغازي عالماً بانساب العرب وايامهم (٣) . يقول حاجي خليفة : لاهمية علم الانساب وجلالة نفعه اشار اليه القرآن الكريم : «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» (٤) وحث الرسول

(١) حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية ص١٧٤ .
(٢) السمعاني : الانساب ١/٥
(٣) الشكعة : مناهج التأليف ص١٦ .
(٤) الحجرات : ١٣

الكريم (ص) على تعلم الانساب ، كما اعتنى العرب بضبطها ، إلى ان كثر اهل الاسلام ، واختلطت انسابهم بالاعاجم ، فتعذر ضبطه بالأباء ، فانتسب كل مجهول النسب إلى بلدة او حرفة اوْ نحو ذلك حتى غلب هذا النوع (١) .

وكان تخطيط الامصار العربية الاسلامية الاولى كالبصرة والكوفة قائماً على القبيلة ، فرافق هذا التخطيط شعور بالانساب ، وايام العرب ، وقد اثرت التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي نشأت في الامصار الجديدة في حركة تدوين التاريخ الاسلامي ، فالكتابة التاريخية كانت تتصل بالتطورات الثقافية من جهة ، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربي من جهة ثانية (٢) . وبقيت الانساب ترافق حياة العرب في الامصار الاسلامية بعد حركات التحرير العربية الاسلامية خارج الجزيرة العربية ، وتنظيم العطاء ، بحيث تميز اشراف القرشيين وسادات القبائل على غيرهم في المراتب والرواتب(٣)

وكان النسابون العرب في مدينتي البصرة والكوفة بعد تخطيطهما قد اهتموا بالتحري عن اصول القبائل العربية ، وانساب كبرائها اضافة إلى عنايتهم البالغة بالمنهج التاريخي الذي تبنته مدرسة الحديث ، وهو العناية بالاسناد ، وسلسلة الرواة ، والحرص على اثباتها (٤) . وكان ديوان الجند الذي رافق تأسيس هذين المصرين يستند على انساب القبائل المقاتلة ، ومدى اسبقيتها في الاسلام ، ولذا كان النظام المالي القائم على العطاء مرتبطاً بالنظام القبلي ، وبقي هذا الارتباط وثيقاً تبعاً للاحداث السياسية والاجتماعية التي رافقت العرب في اثناء عمليات التحرير ، يقول جب : ان نشاط النسابين الذي قوي حين استحدث الديوا

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ١٧٨/١

(٢) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عندالعرب ص١٣١

(٣) الزيات : تاريخ الأدب العربي ص٧٤

(٤) حسن احمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص٢٦٥ ، الكندي المؤرخ ص١١ ص٥٣ .

وحين تضاربت مصالح الاحزاب العربية المتنافسة بلغ في اوائل الفترة الاموية حداً اضطرب معه علم الانساب كله (١) .

ولما اسس الديوان الاول في الاسلام ، وهو ديوان العطاء ، الف الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لجنة ثلاثية من رجال الانساب يومذاك ؛ ابي عدي جبير بن مطعم ، أحد المشاهير المعنيين بالانساب ، ومخرمة بن نوفل ، وعقيل ابن ابي طالب ، لوضع ثبت بانساب العرب يقوم على اساسه الديوان ، وهذا دون شك اول تدوين تاريخي للانساب لدى العرب في الاسلام (٢) . يقول الطبري : ان عمر بن الخطاب اول من دون للناس في الاسلام الدواوين ، وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء ، بعد ان استشار المسلمين في تدوين الدواوين (٣) . وبعد ذلك بدأ الخليفة عمر (رض) بتوزيع العطاء وفق مبدأ القرب والبعد عن الرسول الكريم (ص) اولاً ، وعلى الاسلام ثانياً ، فبدأ بعمه العباس بن عبدالمطلب وبني هاشم ، ثم ألحق بعدهم طبقة بعد طبقة مراعياً في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آن واحد (٤) . وبعد ان وصلت المدينة اموال وافرة ، بعد انتصار المسلمين في العراق والشام ، جعلت الخليفة عمر يفكر في وضع طريقة ناجحة للتوزيع ، وقد خاطب عدداً من الصحابة بالقول : «ايها الناس قد جاءنا مال كثير ، فان شئتم كلنا لكم كيلاً ، وان شئتم عددنا لكم عداً» ، فاشار عليه أحد الحاضرين ان يدون ديواناً (٥) . وأشار عليه الامام

---

(١) جب : دراسات في حضارة الاسلام ص١٤٦ .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ٧٩/١ .

(٣) الطبري : التاريخ ٢٠٩/٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى ١٠٨/١٣

(٤) السيد عبدالعزيز سالم التاريخ ،والمؤرخون العرب ص ٧١

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ١٠٦/١٣ .

علي (رض): ان تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من المال ، ولا تمسك منه شيئاً(١). وقال ايضاً : « ما اصلحك واصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا المال غيره» فقال القوم : القول عدل ابن ابي طالب (٢) . وبعد أن استمع عمر لاراء الصحابة قال :

«ابدؤا بقرابة رسول الله (ص) الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله» (٣) ويأخذ العطاء بالتناقص كلما ابتعد الانسان عن عصور الاسلام الاولى . فكان لا يجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه ، وصنف الناس حسب ادوارهم في الاسلام ، وجاء هذا التقسيم خاضعاً للانتماء القبلي ، فقد بدأ بقرابة رسول الله (ص) ، ثم قرابة ابي بكر ثم عمر ، وهكذا في الانصار ، وفي جميع المسلمين ، وكان هذا النظام يدعو إلى البحث في الانساب (٤) . وكان الخليفة عمر قد ناظر الخليفة ابا بكر (رض) في موضوع العطاء بقوله: اتساوي بين من هاجر الهجرتين ، وصلى إلى القبلتين ، وبين من اسلم عام الفتح خوف السيف ، ثم قال : لا اجعل من قاتل رسول الله (ص) كمن قاتل معه (٥) .

وبلغ علم الانساب في العصر العباسي مبلغاً كبيراً من الاهمية والضبط : مما جعل الجاحظ يقول : «علم النسب والخبر علم الملوك» (٦) ويقول الحسن ابن سهل (ت ٢٣٦هـ) : ان الاداب عند العرب ثلاثة هي : الشعر والنسب

---

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ص١٧٧ .
(٢) الطبري : التاريخ ٣/٦٤٦
(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ١/١٠٧
(٤) حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية ص١٧٧
(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ١٣/١٠٩
(٦) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٣/٧

وايام الناس(١).وقد عد المؤرخون كتب الانساب من مصادرهم الاساسية في كتابة التاريخ،لأن مادة التاريخ كتابة وتدويناً يؤكد ذلك الحوار الذي جرى بين الزبير بن بكار ، واسحاق بن ابراهيم الموصلي ، يقول اسحاق : يا ابا عبدالله عملت كتاباً سميته النسب ، وهو كتاب الاخبار ، وانت يا ابا محمد ايدك الله عملت كتاباً سميته كتاب الاغاني ، وهو كتاب المعاني (٢) . وتبرز من هذا الحوار الصلة الوثيقة بين التاريخ والنسب ، يقول روزنثال : ان الانساب كشكل من اشكال التعبير التاريخي ، لدراستها دلالة على وجود الاحساس التاريخي (٣) .وقد خدم هؤلاء الدراسات التاريخية برفد الانساب بالمعلومات الهامة عن حياة الشخصيات خاصة عند مصعب الزبيري (٤) .

ويعد الكلبيان محمد وهشام رائدي المدرسة التاريخية العراقية للانساب لانهما جمعا في كتبهما بين علمي التاريخ والانساب ، فقد عرف ابو النضر محمد بن السائب الكلبي الكوفي بالتفسير والاخبار وايام الناس ، وكان المقدم يعلم الأنساب (٥) . يقول اليافعي : هو صاحب التفسير والاخبار والانساب (٦) . وقيل انه صاحب التفسير والانساب (٧) .

واختص محمد بن السائب الكلبي بدراسة الانساب والاخبار في العراق ، حتى ان ابنه هشاماً قد ورث منه هذا العلم ، واليهما تعود التطورات الثقافية

---

(١) نالينو : تاريخ الآداب العربية ص٣٤ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٦٩/٨

(٣) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ص٣٣ .

(٤) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٢٦

(٥) ابن النديم : الفهرست ص١٠٧ .

(٦) اليافعي : مرآة الجنان ٠١/١

(٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٤٣٦/٣ . انظر طاش كبري زادة : مفتاح السعادة ٦٥/٢

والصلات الوثيقة بين الأنساب والأخبار ، والدراسات الادبية (١) . فقد كان محمد بن السائب يجلس في الكوفة للحديث والرواية ، وقد حاول في دراساته للانساب بجمع الروايات القبلية معتمداً على افضل نسابة في كل قبيلة (٢) . وانه رجع إلى شعر النقائض ، فدرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه(٣). وكانت اهتماماته بالتفسير لا تقل عن اهتماماته بالتاريخ . والانساب حتى قيل انه : صاحب التفسير ، وذكر له كتاب «تفسير القرآن» وكتاب «تقسيم القرآن» (٤) . يقول ابن عدي : ليس لأحد تفسير اطول من تفسير ابن الكلبي، وانه كان اية في التفسير ، واسع العلم (٥) .

وكان محمد بن السائب الكلبي ميدانياً في جمع المعلومات التاريخية ، فقد حاول قراءة النقوش المكتوبة على قبور اللخميين لتحقيق تواريخهم ، وهذه الطريقة قد سار على غرارها الجهشياري في كتابه «الوزراء» حيث استند على النقوش التي وجدها في ثغري صور وعكا ، والتي ذكر فيها زياد بن ابي الورد الاشجعي خبر ما بناه بهما بامر مروان الاموي (٦) . يقول المستشرق بلاشير : ان ابن السائب الكلبي لم يترك اثراً مكتوباً ، ولم يحتفظ بثمرات ذاكرته الهائلة الا بفضل ابنه هشام (٧) . ويعود الفضل الاكبر لمحمد بن السائب الكلبي في حفظ نصوص ابي مخنف من الضياع . كما انه كان يميل على وجه الخصوص

---

(١) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٤٠

(٢) ابن النديم : الفهرست ص١٠٨ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .

(٣) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص٤١ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص١٤٦ ، البغدادي : هدية العارفين ٧/٢

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ٨٣/٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢١٨/١

(٦) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٨/٣

(٧) بلاشير : تاريخ الادب العربي ص١٠٨ .

إلى جمع الاخبار عن انساب العرب القدماء وتاريخهم ، وعن ولده هشام نقل المؤرخ الطبري هذه النصوص في تاريخه الكبير (١) .

ومن المحتمل ان محمد بن السائب الكلبي جمع قسماً من مادته التاريخية والنسبية من الاحداث التي عاصرها بعض اجداده ، فقد كان جده بشر وبنوه : السائب وعبيد وعبدالرحمن قد شهدوا موقعتي الجمل وصفين مع الامام علي (رض) . وان السائب قتل مع مصعب بن الزبير ، وشهد محمد نفسه موقعة دير الجماجم مع عبدالرحمن بن محمد الاشعث الكندي عام ٨٢هـ ضد الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبدالملك بن مروان (٢) وكان قد صحب الامامين محمد ابن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق (٣) (رض) . وربما استبقى منهما علوماً في الفقه والتفسير والحديث .

واخذ محمد بن السائب الكلبي بعض نصوصه المتعلقة بنسب قريش من ابي صالح ، وكان هذا قد اخذه عن عقيل بن ابي طالب ، واخذ نسب كندة عن ابي الكفاس الكندي ، الذي كان اعلم الناس بعلم الانساب ، واخذ نسب معد ابن عدنان عن النجار بن أوس العدواني (٤) . وكانت الاخبار التي استقاها عن ابي صالح في تاريخ الانبياء ، وهذا يسوقنا الى القول : ان الحركة التاريخية قد اتجهت الى ذكر الرواة وتثبيت الاسناد (٥) . وكان يعتمد على اهل الكتاب في بعض نصوصه في تواريخ الانبياء .

وورث علم الانساب ابو المنذر هشام بن محمد الكلبي عن ابيه ، وقد عرف

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ٣/٢٩–٣٠
(٢) ابن قتيبة : المعارف ص٥٣٥ .
(٣) الطوسي : الرجال ص١٣٦ ، ص٢٨٩ .
(٤) ابن النديم : الفهرست ص١٠٨ .
(٥) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٢٧ .

كأبيه بصاحب النسب ، والنسابة ، والاخباري (١) وجمع بين علم الانساب والتاريخ حتى قيل : انه كان عالماً باخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها(٢). ويقال عنه انه اعلم الناس بعلم الانساب ، وانه صاحب سير ونسب (٣) .قال عنه تلميذه محمد بن سعد : انه عالم بالنسب واخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن ابيه وعن جماعة من الرواة . وقال اسحاق الموصلي :رأيت ثلاثة كانوا اذا رأوا ثلاثة يذوبون ، علويه إذا رأى مخارقاً ، وابا نؤاس اذا رأى ابا العتاهية ، والزهري اذا رأى هشاماً (٤) . وفي الحقيقة ان هشام الكلبي كان من ابرز النسابين وان شهرته في التأليف قد ارتبطت بالانساب لانه . كتب فيها اكثر من كتاب (٥) . وابرز كتبه في هذا المجال هي :

١ — كتاب الجمهرة في معرفة الانساب

ذكر المؤرخون ان كتاب «الجمهرة» من احسن كتب هشام الكلبي ومن محاسن الكتب في هذا الفن. ولشهرة هذا الكتاب قيل : ان هشاماً صاحب كتاب الجمهرة في النسب ، وانه اصبح المرجع الاول للمؤلفين فيما بعد، وان كان الهمداني بعده ناقصاً في انساب قبائل اليمن (٦) . يقول بروكلمان : ان هشاماً جمع اثار ابيه بين دفتي كتاب ضخم في الانساب لايزال باقياً الى اليوم (٧) .

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٥/١٤ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٣١/٥ ، ياقوت : معجم الادباء ٢٨٧/١٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ١٣/٢ .

(٢) ياقوت : معجم الادباء ٢٨٧/١٩ ، القمي الكنى والالقاب ١٠٢/٣

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص٥٣٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٣١/٥ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص١٠٨ .

(٥) الشكعة : مناهج التأليف ص١١٥ .

(٦) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٤١ .

(٧) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٢٩/٢

٢ ـ النسب الكبير

يضم هذا الكتاب انساب العدنانيين والقحطانيين ، فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل الاخرى (١) .

٣ ـ كتاب نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام

٤ ـ كتاب الفريد ، وقد صنفه للخليفة المأمون في الانساب

٥ ـ كتاب الملوكي ، وقد صنفه لجعفر البرمكي في النسب

٦ ـ كتاب المنزل ، وهو اكبر من كتاب «الجمهرة» .

وكان لهشام بن محمد الكلبي عناية بتاريخ العرب القديم وما يتصل به من انساب وايام واشعار (٢) . وان ماذهب اليه المؤرخون من انه كان واسع الرواية لايام الناس واخبارهم (٣)، تشعرنا انه قد تتبع الاخبار والانساب وفق العصور التاريخية ، وقد اشار الى ذلك بقوله : اني كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة من بيع الحيرة . وفيها ملكهم وامورهم كلها (٤). وهذا القول يؤكد الطابع الميداني لكتابات هشام الكلبي التي كان يستمد نصوصها من الكتابات والوثائق المعروفة في الكنائس والتي تتعلق بتاريخ عرب الحيرة والعلاقات بين العرب والساسانيين (٥) .

وان كتب هشام الكلبي المؤلفة عن «ملوك كندة» و« ملوك اليمن من التبابعة»و «ملوك الطوائف» تكشف لنا عن ثقافته بتواريخ العرب قبل الاسلام وانسابها ، ويشكك المستشرق مرجليوث بثقافة هشام الكلبي بهذه العلوم

(١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢/١٥٢ .
(٢) شوقي ضيف : العصر العباسي الاول ص١٢٦ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥/١٣٢ .
(٤) الطبري : التاريخ ١/٦٢٨ .
(٥) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٤١

والتواريخ بقوله هي عناوين لاتوحي بكثير من الثقة ، اذ ليس من المحتمل ان يكون لدى ابن الكلبي معرفة بالنقوش التي لايمكن ابانة هذا التاريخ إلا منها(١) ولكن «كتاب التاريخ» لهشام الكلبي ومصنفاته الاخرى في التاريخ . والآثار تضعف الرأي الذي ذهب اليه مرجليوث. وان «كتاب الاصنام» فيه معلومات قيمة عن ديانة العرب الوثنيين(٢) .

وكان قد تحدث عن تاريخ اليمن ، وتاريخ الحيرة ، وصلة الامم والشعوب بهما ، فهو قد اخذ بالقصص الشعبي والاساطير وبعض الاخبار الموضوعة عن شعراء الجاهلية (٣) . واستطاع ان يكتب عن تواريخ البلدان والمواضع كأخبار البلدان ، والبلدان الكبير ، والبلدان الصغير ، وكتاب قسمة من كان بالحجاز من احياء العرب ، وكتاب قسمة الأرضين ، وكتاب الانهار ، وكتاب الحيرة وكتاب تسمية البيع والديارات ، وكتاب اسواق العرب (٤) . وكانت مؤلفات هشام الكلبي اكثر من مائة وخمسين كتاباً تشتمل على الانساب والاخبار والايام والقبائل والملوك والبلدان والاقاليم والاديان والمثالب والعادات وغيرها وهذه الكتابات المتنوعة توضح لنا مكانة هشام الكلبي في حقول الانساب والتاريخ والاخبار ، وكانت تحقيقاته التي اثبتها في مصنفاته تعتمد الكتابات المدونة . والنقوش المثبتة ، والروايات الاخرى وهذا له دلالة على ان هشام الكلبي كانت له ثقافة واسعة بحيث تناولت شعوباً وامماً عاشت قبل الاسلام ، وان مقتبسات الطبري في تاريخه ، وياقوت الحموي في معجميه ، وابي الفرج الاصفهاني في اغانيه ، وابن عبد ربه في عقده ، شواهد على ثقافة الكلبي الواسعة

(١) مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ص١٠٥ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ٢/ ٢٩

(٣) ابن النديم : الفهرست ص١٤٣ .

(٤) ن. م. ص١٠٩ .

وان نقول ابن سعد والجاحظ والطبري والمسعودي وغيرهم تؤكد ذلك .«ومن انعم النظر في امهات الدواوين التي وصلتنا عن أكابر المؤرخين ، رآها مفعمة بالنقول الكثيرة المنسوبة الى ابن الكلبي (١) . ومثال ذلك مااقتبسه الطبري في عصر ماقبل الاسلام عن هشام الكلبي قوله : «فحدثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصر انضم الذين كان اسكنهم الحيرة من العرب حين امر بقتالهم الى اهل الانبار وبقي الحير خراباً ، فصبروا بذلك زماناً طويلاً ، لاتطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ، ولا يقدم عليهم قادم ، وبالانبار اهلها من انضم اليهم من اهل الحيرة من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معد بن عدنان ، فلما كثر اولاد معد بن عدنان ، ومن كان معهم من قبائل العرب وملئوا بلادهم من تهامة وما يليهم . فرقتهم حروب وقعت بينهم ، واحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام ، واقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الازد كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو ، من بقايا بني عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة ، وهو الغطريف بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الازد .

وكان الذين اقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ومالك بن زهير إبن عمرو بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة ، في جماعة من قومهم ، والحيقار إبن الحيف بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان ، في قنص كلها ، ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى بن دعمي بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وزهر بن الحارث بن الشلل بن زهر بن اياد وصبح بن صبيح بن الحارث بن افصى بن دعمي بن اياد .

(١) احمد زكي : مقدمة كتاب «الاصنام» ص١٣ .

م/٧/م.أ.ر

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ —وهو المقام— وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عمارة من العمائر (١) . وكان هشام الكلبي في هذا النص الذي دونه الطبري في تاريخه فقد ربط بين التاريخ والانساب ويمضي في طريقته هذه حتى اذ ا انتقل الى العصر الاسلامي ، فنحن نجد في حديثه عن السيرة النبوية هذا الترابط واضحاً ، كما اشار ابن سعد الى ذلك في طبقاته قائلاً : «قال اخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال : لما هلك قصي بن كلاب قام عبد مناف بن قصي على أمر قصي بعده ، وامر قريش اليه ، واختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه ، وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله (ص) حين انزل الله ، تبارك وتعالى عليه : (وانذر عشيرتك الأقربين) قال : اخبرنا هشام بن محمد قال : فحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال : لما انزل الله تعالى على النبي (ص) : (وانذر عشيرتك الأقربين) خرج حتى علا المروة ثم قال : يال فهر ، فجاءته قريش ، فقال ابو لهب بن عبد المطلب ، هذه فهر عندك فقل : فقال : يال غالب ، فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر ، فقال : يال لؤي بن غالب ، فرجع بنو تيم الادرم ابن غالب ، فقال : يال كعب بن لؤي ، فرجع بنو عامر بن لؤي ، فقال : يال مرة بن كعب ، فرجع بنو عدي بن كعب ، وبنو سهم ، وبنو جمح ابنا عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي ، فقال : يال كلاب بن مرة ، فرجع بنو مخزوم ابن يقظة بن مرة وبنو تيم بن مرة ، فقال : يال قصي فرجع بنو زهرة بن كلاب ، فقال يال عبد مناف ، فرجع بنو عبد الدار بن قصي وبنو اسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو عبد بن قصي ، فقال ابو لهب : هذه بنو عبد مناف عندك فقل : فقال رسول الله (ص) : ان الله قد امرني ان انذر عشيرتي الأقربين

(١) الطبري : التاريخ ١/٦٠٩-٦١٠ .

وانتم الأقربون من قريش ، واني لا املك لكم من الله حظاً ولا من الآخرة نصيباً الا ان تقولوا: ألا إله إلا الله فاشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم بها العرب وتذل لكم بها العجم ، فقال ابو لهب : تباً لك فلهذا دعوتنا ، فأنزل الله : (تبت يدا أبي لهب) (١) .

وكان هشام بن محمد الكلبي قد استقى نصوصه عن عدد من اعلام الكوفة كأبي مخنف . وعوانة بن الحكم ، ومجالد بن سعيد (٢) . وكان ابوه محمد ابن السائب الكلبي من رجال مدينة الكوفة المعروفين بالعلم والرواية ، وقد اقتفى هشام آثاره ، وحاول ان يتم ماجمعه بالبحث والتنقيب لاسيما ماوجده بكنائس الحيرة من وثائق ، ليكمل بذلك تاريخ اللخميين ومشاهدهم (٣) .

ونقل الطبري عن هشام الكلبي قوله : «اني كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ اعمار من عمل منها لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وامورهم كلها» (٤)

وثمة مفارقات يرويها المؤرخون والمحدثون عن هشام بن محمد الكلبي فقد قيل انه كان من الحفاظ المشاهير ، وانه حافظ علامة (٥) . وقيل عنه : كان سريع الحفظ ، سريع النسيان لقول هو قائله : «حفظت مالم يحفظه احد ، ونسيت مالم ينسه احد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت ان لاأخرج منه حتى احفظ القرآن ، فحفظته في ثلاثة ايام ونظرت يوماً في المرآة . فقبضت على لحيتي لآخذ مادون القبضة . فأخذت مافوق القبضة(٦)

(١) ابن سعد : الطبقات ٧٥/١

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ١٣/٢ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ص٣٠ .

(٤) الطبري : التاريخ ٦٢٨/١

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٣١/٥ .

(٦) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٦/١٤ .

ويتطرق الشك في صحة ماقيل عن حافظة هشام الكلبي ، اذ كيف تمكنه نفسه من حفظ القرآن الكريم في ثلاثة ايام ، وهي غير كافية لتلاوته ، الا اذا كان الرجل كما قيل من الحفاظ ، وقد حبس نفسه في ثلاثة ايام . وقرأ القرآن وتأكد من حفظه . ومع كل هذا يتطرق الشك إلينا ثانية لانه هو نفسه قد اعترف بالنسيان ومن المحتمل ان هذه الروايات قد الصقت به وغايتها التقليل من ثقة الناس به ، وبخاصة في علم الحديث ، يقول احمد بن حنبل : «كان صاحب سير و نسب ، وما ظننت ان احداً يحدث عنه» وقال عنه الدارقطني «متروك (١) أوانه كان متهماً بالوضع عند معاصريه (٢) . وقال السمعاني : انه يروي الغرائب والعجائب والاخبار التي لا أصول لها (٣) . ويقف الاستاد احمد زكي موقف المستغرب من عبارات التجريح والتضعيف لهشام الكلبي بقوله : « هذا وانا لأدري كيف اجمع اهل الحديث على تجريح هشام مع انه كان كثير الاحتياط في نقل الاخبار يدل على ذلك مبدؤه الذي كان يعبر عنه بقوله : الاسناذ في الخبر مثل العلم في الثوب» (٤) .

وثمة آخرون غير الكلبيين محمد وهشام قد اهتموا بالتاريخ والآثار والانساب ، وفي كتبهم مجموعات من اعمال مختلف الجماعات القبلية المدونة على نمط الخبر ، ومن الامثلة على ذلك كتاب «نسب قريش» للزبير إبن بكار الذي بقي بعضه ، وهو ككتاب معمر بن المثنى السابق له ، الذي يهتم بفضائل القرشيين ومزاياهم اكثر من اهتمامه بالعلاقة بينهم مما سهل امتداد

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٦/١٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ٣٠٤/٤ .

(٢) شوقي ضيف : العصر العباسي الاول ص١٢٦ .

(٣) السمعاني : الانساب ص٤٨٦ .

(٤) احمد زكي : مقدمة كتاب «الاصنام» ص١٠٥ .

علم الانساب من التاريخ (١) . وكانت الامصار الاسلامية . منذ نشأتها في القرن الأول الهجري ، قد نشأت فيها مدرسة تاريخية تميزت بخصائص كان للقبيلة والانساب دور في بلورتها ، وهي ناتجة من طبيعة الفترة التاريخية الممتدة من العصر الراشدي الى العصر العباسي ، وما تعاقب على المجتمع من تيارات سياسية وفكرية ، وهذه الخصائص هي :

١ ــ الفكر العقائدي :ــ

عرفت مدينة الكوفة بالميول العلوية . مما جعل بعض مؤرخيها يهتمون بالاخبار والقصص التي كانت تشير الى أحقية العلويين في الخلافة ، وقد اثر ذلك في الدراسات التاريخية . فجعل الاهتمام في هذا الجانب يطغى على الجانب القبلي . كالمؤرخ ابي مخنف (ت ١٥٧هـ) الذي تبرز في كتاباته الميول العلوية (٢) . فيقول : «ان اول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي ، وقيل: حجر بن عدي ، ودعوة زياد» (٣) . وتبرز الميول الأموية في كتابات عوانة إبن الحكم (ت ١٤٧هـ) (٤) . فهو يورد بوضوح الروايات المنحازة الى الامويين التي يعكسها كتاب «سيرة معاوية وبني امية» (٥) .

وقد اوجد الاختلاف العقائدي في الامصار الاسلامية جدلاً عنيفاً كان سبباً في فتح الباب على مصراعيه للانتحال والوضع ، منذ حشد سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ) نصوصاً موضوعة ومنتحلة في مقتل الخليفة عثمان بن عفان)

---

(١) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ص١٣٦ .

(٢) الطبري : التاريخ ١/١٨٢ ، ١٨٥ .

(٣) ن.م ٥/٢٧٩

(٤) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٢٣ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص١٠٣

(رض) (١) . ولا شك ان مسألة الامامة التي تبناها العلويون ومؤيدوهم ، كانت تتعارض مع فكرة الدولة التي نادى بها الأمويون وبشروا بها (٢) .

٢ـ المآثر القبلية

تبرز في كتابات المؤرخين العراقيين مآثر قبلية ذات طابع تمجيدي ، تعصبي احياناً فقد كانت بعض روايات سيف بن عمر تؤكد على دور قبيلة تميم ، وبعض روايات ابي مخنف تمثل رأي قبيلة الازد (٣) . وادى هذا التحيز تدريجياً الى احتدام العصبية لدى القبائل في المدينة التي يعيشون فيها ، وهذه تتصل بصورة وثيقة بحالة الفتوح ، وتمسك القبائل بحقها في التمتع بموارد البلاد التي فتحوها (٤) . وهذا الاتجاه جعل مدرسة العراق تتميز عن مدرسة المدينة القائمة على دراسة المغازي والسير . فالمدرسة العراقية كان اهتمامها بأخبار القبائل العربية عامة ، وقبائل العراق خاصة، او العناية بالانساب العربية عامة ، وانساب البصريين والكوفيين خاصة ، واشتغل بهذا الاتجاه النسابون الذين تخصصوا في تاريخ القبائل العربية وانسابها ، ولعل هذا يتمشى مع التطور الجديد في الحياة الاسلامية بعد نهاية عصر الفتوح (٥) . وكان مصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) قد اشتهر بالانساب والايام وكتب «النسب الكبير» و«نسب قريش» والكتاب الاخير يلقي ضوءاً خاصاً على التحولات في الروابط القبلية ، وعلى التبدلات في خطوط الانساب . وبصورة عامة يظهر الكتاب قيمة دراسات الانساب لكتابة التاريخ (٦) .

---

(١) جب : دراسات في حضارة الاسلام ص١٥٣ .
(٢) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص١٣٢ .
(٣) الطبري : التاريخ ٣٤٦/١ .
(٤) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص١٣٢
(٥) حسن احمد محمود : الكندي المؤرخ ص٥١ .
(٦) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص٤٢

٣ ـ الصراع مع الشعوبية

برز التيار الشعوبي في التاريخ العربي الاسلامي في العصر الاموي واتسعت دائرته في العصر العباسي ، وكان للصراع بين العرب والاعاجم دور بارز في بلورة الفكر التاريخي ، وبخاصة في العراق . فقد كان عبدالله بن المقفع (ت ١٤٥هـ) وغيره يترجمون الكتب المؤلفة في سير ملوك العجم (١) .وقد سعى هؤلاء الى تشويه تاريخ العرب ، والاهتمام بالتوسع في الثقافة الفارسية ، والتراث الفارسي ، فترجموا كتباً ذات طابع قومي مثل كتاب « «خداينامه» الذي ترجمه ابن المقفع عن البهلوية تحت عنوان «سير الملوك» يقول جب : «واذا استثنينا كتاب هشام الكلبي قلنا ان المأثور الفارسي يدخل هاهنا لاول مرة في صلب التدوين التاريخي عند العرب (٢). فهو عدا كتاب «خداينامه» ترجم كتاب «الابين نامة» او «ابين نافع» او التماليد والمراسيم وكتاب «الكاه نامة » او «كاه نافع» او «طبقات العظماء» وكتبا تاريخية تستند الى مواد الخداينامة مرتبة ترتيباً جديداً (٣) .

وقد سعى البرامكة لتوجيه التاريخ وجهة تتلاءم مع فكرهم ، وقد اعانوا لتنفيذ خطتهم جماعة من الادباء والرواة والعلماء والمترجمين والشعراء الذين تفصح اعمالهم عن اهداف هذه الخطة ، وكان من ابرزهم ابو عبيدة وعلان الشعوبي في رواية التاريخ ، ووضع الاخبار (٤) . وبعد توسع الصراع الفكري على اصعدة المؤلفين والكتاب ، جعل بعض النسابين واللغويين العرب يوسعون دراساتهم القائمة على الشعر والرواية القبلية ، ولذا فان دراساتهم اختلطت

---

(١) شوقي ضيف : العصر العباسي الاول ص١٢٦ .
(٢) جب : دراسات في حضارة الاسلام ص١٥٥
(٣) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص٤٧ .
(٤) محمد بديع شريف : الصراع بين الموالي والعرب ص٤١ .

بحقل الدراسات التاريخية او اتصلت بها (١) . ومن ابرز هؤلاء ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٢هـ) الذي كتب عن العرب الفصحاء كتباً ملأت بيتاً الى قريب من السقف ، ولكنه أحرقها بعد ان تنسك (٢) . يقول المستشرق بلاشير : انه وقع تحت تأثير ازمة دينية (٣) . وكان ابو اليقظان سحيم بن حفص (ت١٩٠هـ) عالماً بالاخبار والانساب والمآثر والمثالب (٤) . وكان هذا اول من كتب في الانساب ، ولكن لم تصل الينا مؤلفاته عدا مقتطفات في كتب تالية ، ولكنها اول اثر لجمع الانساب من الروايات القبلية بالدرجة الاولى (٥) . وان تأكيد (ابي اليقظان) على دراسة نسب اياد وكنانة في كتابه «النسب الكبير» قد يكون رد فعل للدراسات الشعوبية التي برزت في عصره ، وكان الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ) قد ألف «تاريخ العجم وبني أمية» وكتابي «الاشراف الكبير والاشراف الصغير» (٦) . ومن المحتمل ان تعود كتاباته هذه الى الاتجاه نفسه الذي سار عليه المؤرخون لصد التيار الشعوبي .

---

(١) الدوري : بحث نشأة علم التاريخ ص١٢٦

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١٣٦/٣ .

(٣) بلاشير : تاريخ الادب العربي ص١١٠

(٤) ابن النديم : الفهرست ص١٤٤

(٥) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص٤٠

(٦) ابن النديم : الفهرست ص١١٢

المصادر والمراجع

ان خير مابتديء به من المصادر «القرآن الكريم»

احمد زكي (د.)

١ — مقدمة كتاب «الاصنام» لهشام الكلبي

بروكلمان : كارل

٢ — تاريخ الأدب العربي نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار وآخرون ، دار المعارف/مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٢ ١٩٧٧م .

٣ — تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين/بيروت ،الطبعة الثانية ١٩٦٠م .

البغدادي : اسماعيل باشا بن محمد امين مير سليم البابانى

٤ — هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م .

بلاشير ، ز

٥ — تاريخ الأدب العربي ، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني

جب ، هاملتون

٦ — دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة الدكتور احسان عباس وآخرون ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين /بيروت ١٩٧٤م .

جرجي زيدان (ت ١٩١٤م)

٧ — تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال
حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله الشهير بكاتب جلبي (ت ١٠٦٨هـ)
٨ — كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
ابن حجر : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
٩ — تهذيب التهذيب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، الهند / حيدرآباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ
حسن احمد محمود (الدكتور)
١٠ — العالم الاسلامي في العصر العباسي . الطبعة الاولى ، مطبعة المدين / القاهرة ، بالاشتراك مع الدكتور احمد ابراهيم شريف .
١١ — الكندي المؤرخ
حسين نصار (الدكتور)
١٢ — نشأة الكتابة الفنية قي الأدب العربي ، الطبعة الثانية ،مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٦م .
الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)
١٣ — تاريخ بغداد او مدينة السلام . دار الكتاب العربي ، بيروت
ابن خلكان : ابو بكر شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ)
١٤ — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة/ مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م
الدوري : عبد العزيز (الدكتور)

١٥ — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠م —
الذهبي : ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)
١٦ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي. دار احياء الكتب العربية . الطبعة الاولى ١٣٨٢ ١٩٦٣م .
روز نثال ، فرانزر
١٧ — علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مطبعة العاني / بغداد ١٩٦٣م .
الزيات : احمد حسن
١٨ — تاريخ الأدب العربي ، مطبعة الرسالة / القاهرة ، الطبعة الرابعة والعشرون .
ابن سعد : ابو عبدالله محمد بن سعد الزهري البصري (ت ٢٣٠هـ) .
١٩ — الطبقات الكبرى ، دار بيروت ، دار صادر ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .
السمعاني : ابو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)
٢٠ — الانساب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ .
السيد عبدالعزيز سالم (الدكتور)
٢١ — التاريخ ، المؤرخون العرب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م
شاكر مصطفى (الدكتور)

٢٢ ـ التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين/ بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٨م

الشكعة : مصطفى (الدكتور)
٢٣ ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين / بيروت ١٩٨٢م

شوقي ضيف (الدكتور)
٢٤ ـ العصر العباسي الاول ، دار المعارف / مصر ، الطبعة الثالثة المنقحة .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)
٢٥ ـ الوافي بالوفيات . دار النشر فرانز ستاينز بفيسبادن ١٩٦١م

طاش كبري زادة : احمد بن مصطفى (ت ١٩٦٨م)
٢٦ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق بكري عبدالوهاب ابو النور : مطبعة الاستقلال/ القاهرة .

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
٢٧ ـ تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ، دار المعارف / مصر .

ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)
٢٨ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب . مكتبة القدسي / القاهرة ١٣٥٠هـ

ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)

٢٩ ــ المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠م
القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
٣٠ ــ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
القمي : الشيخ عباس (ت ١٣٥٩هـ)
٣١ ــ الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية / النجف الاشرف ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م
الماوردي : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠)
٣٢ ــ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده / مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م
محمد بديع شريف (الدكتور)
٣٣ ــ الصراع بين الموالي والعرب . دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٥٤م .
مرجليوث
٣٤ ــ دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، دار الثقافة ، بيروت .
نالينو ، كارلو
٣٥ ــ تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٠م .
ابن النديم : ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب الوراق .

٣٦– الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ١٣٩١هـ/١٩٧١م
اليافعي : ابو محمد عبدالله بن اسعد المكي (ت ٧٧٨هـ)
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان
مطبعة دائرة المعارف النظامية / حيدر آباد الدكن ؛ الطبعة الاولى ١٣٣٨هـ
ياقوت : شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)
٣٨– معجم الأدباء ، دار احياء التراث العربي / بيروت .

